

اختيار الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليلغ الإسلام :

اختار الله - سبحانه وتعالى - لرسالة الإسلام ، من تأهل ليكون خير من يتلقى الرحي ، ويلغه للناس ، وتلك سنة الله مع رسالاته ورسله قال - تعالى - : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾^(١) .

فالله يختار رسله من الملائكة إلى الأنبياء ، ويختار رسله من البشر إلى الناس ، وذلك عن علم وخبرة وقدوة^(٢) .

ويذكر الطبري : أن الله يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل اللذين كان يرسلهما إلى أنبيائه ، ومن شاء من عباده . ومن الناس كأنبياؤه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم^(٣) .

يقول الله - تعالى - : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ﴾^(٤) ، أي : هؤلاء الذين ذكرنا : لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة . الأخيار الذين اخترناهم لطاعتنا ، ورسالتنا إلى خلقنا^(٥) .

واصطفاء الله للرسل - عليهم السلام - يتم على مرحلتين : مرحلة تهيئة

(١) سورة الحج : آية رقم ٧٥ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : ٥ ، ص : ٤٥١ ، ط : كتاب الشعب بالقاهرة .

سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج : ٤ ، ص : ٢٤٤٤ ، ط : دار الشروق سنة : ١٤٠٢ هـ .

(٣) الطبري : جامع البيان في تفسير آي القرآن ، ج : ١٧ ، ص : ١٤٢ ، ط : الأميرية ببلاق .

(٤) سورة (ص) ، آية رقم ٤٧ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ج : ٢٣ ، ص : ١١١ .

وتأهيل ، ومرحلة تكليف وإبلاغ^(١) .

وكتب السيرة والسنة تروي كثيرا من الآثار تشير إلى تشريف الله - تعالى -
باصطفاء محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وكونه أول الأنبياء خلقا^(٢) .

فقد روى ابن إسحاق عن قتادة مرسلا ، قال : قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - : « كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرُهُمْ فِي الْبُعْثِ »^(٣) . وقد
يكون المراد بالخلق هنا : التقدير دون الإيجاد ، فإنه قبل أن ولدته أمه لم يكن
موجودا ، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير ، لاحقة في الوجود^(٤) .

وجاء عن العرياض بن سارية - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - قال : « إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ
فِي طِينَتِهِ »^(٥) .

ويقول الطيبي : والمعنى : كتبت خاتم الأنبياء في الحال الذي آدم مطروح على
الأرض ، حاصل في أثناء تخلقه ، لما يفرغ من تصويره وإجراء الروح^(٦) .

ويقول الحافظ أبو الفرج بن رجب - رحمه الله تعالى - : « والمقصود من
هذا الحديث : أن نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت مذكورة معروفة
من قبل أن يخلقه الله - تعالى - ، ويخرجه إلى دار الدنيا حيا ، وأن ذلك كان

(١) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١١٤ ، ط : دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

(٢) الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج : ١ ، ص : ٨٩ . تحقيق

د . مصطفى عبد الواحد ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بالقاهرة ، سنة : ١٣٩٢ هـ .

(٣) الديلمي ، الفردوس بمأثور الخطاب ، ج : ٣ ، ص : ٢٨٢ ، ط الأولى ، سنة : ١٤٠٦ هـ ،

نشر : دار الكتب العلمية ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج : ١ ، ص : ٣١٩ ، ط : الباني

الحلي ، بالقاهرة .

(٤) الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد ، ج : ١ ، ص : ٩١ .

(٥) رواه الإمام أحمد ، في مسنده ، ج : ٤ ، ص : ١٢٧ - ١٢٨ ، ج : ٥ ص : ٣٧٩ ،

ط : دار صادر بيروت .

(٦) الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد ، ج : ١ ص : ٩٦ .

محمّد ﷺ أم الكتاب من قبل نفخ الروح في آدم - صلى الله عليهما وسلم - ^(١) وفسر أم الكتاب : باللوح المحفوظ في قوله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ^(٢) ولا ريب أن علم الله قديم ، لم يزل عالما بما يحدثه من خلقه ، ثم إن الله - تعالى - كتب ذلك في كتاب عنده ، قبل أن يخلق السموات والأرض ، كما قال تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ^(٣) .

ويروي الإمام أحمد عن ميسرة - رضي الله عنه - قال : قلت يا رسول الله : متى كنت نبيا ؟ قال : « وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » ^(٤) .

ويقول الإمام أحمد في رواية منها : وبعضهم يرويه : متى كنت من الكتابة ؟ قال : « كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » . فتحمل هذه الرواية مع حديث العرباض السابق على وجوب نبوته - صلى الله عليه وسلم - وثبوتها وظهورها في الخارج ، فإن الكتابة إنما تستعمل فيما هو واجب ، إما تشريعا كقوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ..﴾ ^(٥) أو قدرا ، كقوله تعالى : ﴿كُتِبَ اللَّهُ لَا غَلْبَ لَنَا وَأَرْسَلْنَا..﴾ ^(٦) .

(١) ابن رجب ، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، ص : ٧٩ ، ط : مكتبة الرياض الحديثة ، بالرياض .

وانظر : الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد ، ج : ١ ، ص : ٩٧ .

(٢) سورة الرعد ، آية رقم ٣٩ .

(٣) سورة الحديد : آية رقم ٢٢ .

وانظر : ابن رجب ، لطائف المعارف ، ص : ٧٩ ، بتصرف .

(٤) رواه أحمد ، في المسند ، ج : ٥ ، ص : ٥٩ .

ورواه الترمذى ، في صحيحه ، ج : ٢ ، ص : ٤٢٥ . ط : شركة الحلبي بمصر ، ط : الثانية ، سنة ١٣٩٥ هـ .

(٥) سورة البقرة ، آية : رقم ١٨٣ .

(٦) سورة المجادلة ، آية رقم ٢١ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قالوا يا رسول الله : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « **وَأَدُمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ** »^(١) .

وروى ابن سعد عن الشعبي قال : قال رجل : يا رسول الله : متى استنبئت ؟ قال : « **وَأَدُمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ حِينَ أُخِذَ مِنِّي الْمِيتَاقُ** »^(٢) .

وسئل أبو جعفر محمد بن علي : كيف صار محمد - صلى الله عليه وسلم - يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث ؟ قال : إن الله لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، ألتست بربكم^(٣) كان محمد - صلى الله عليه وسلم - أول من قال : بلى . ولذلك صار يتقدم الأنبياء ، وهو آخر من بعث^(٤) .

ومنذ استودع الخليل إبراهيم قلب الصحراء ولده إسماعيل - عليهما السلام - فإن عناية الله لهما بتحمل التبعة والمسئولية ، بعيدا عن الدعة والرخاوة والنعومة للرجال الأكفء ، الذين يحملون أمانة الرسالة الخاتمة على يد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وترجم فطرة إبراهيم - عليه السلام - هذه المعاني ، في سورة الدعاء ، والأمني ، يسأل بها ربه . قال الله - تعالى - : ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِعَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا**

(١) رواه الترمذي ، في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي - صلى الله عليه وسلم - ج : ٥ ، ص : ٥٨٥ .

ورواه الحاكم ، في المستدرک ، كتاب التاريخ ، باب ذكر مراكزه - صلى الله عليه وسلم - ج : ٢ ، ص : ٦٠٩ . وقال : حديث صحيح ووافقه الذهبي .
ورواه أحمد ، في المسند ، ج : ٥ ، ص : ٥٩ .

(٢) رواه الدارمي في سننه ، المقدمة ، : ٣ ، ط : دار الدعوة في استنبول ، سنة : ١٩٨١ م .
ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ، ج : ١ ، ص : ٩٥ .

(٣) قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**

(٤) الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد ، ج : ١ ، ص : ١٠١ .

الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١﴾ .

وما كاد يشتد ساعد إسماعيل - عليه السلام - بعد فترة وجيزة ، حتى يقف إلى جوار أبيه ، يؤكدان معاً ، هذا الأمل الجاد ، في خاتم الأنبياء ، وفي أمة الإسلام ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

فالعناية الإلهية قد هيأت سلسلة طيبة من الآباء الأخيار والأجداد للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، ليأخذ منها عن طريق الوراثة (٤) كثير من الخلق والطباع ، ذلك لأن الوراثة عامل هام في تكوين الشخصية فهي تعمل في أصل النمو ، وتدخل من داخل الكائن الحي ، وما جاء في الوراثة ، ما رواه البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل عليها

(١) سورة إبراهيم ، آية رقم ٣٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات رقم ١٢٧ - ١٢٩ .

(٣) سورة التوبة ، آية رقم ١٢٨ .

(٤) حتى لا يكون هناك مجال للتقول على نسبه - صلى الله عليه وسلم - وأثر هذا النسب ، وذلك لما ألف الناس من التواصل بين الآباء والأبناء ، وأثر الوراثة في الذرية .

مسرورا ، تبرق أسارير وجهه فقال : « أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ الْمُدْلَجِي لَزَيْدٍ وَأُسَامَةَ - ورأى أقدامهما - فقال : إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأَقْدَامِ مِنْ بَعْضٍ »^(١) .

وحينا قذف هلال بن أمية زوجته في شريك بن سحماء - وهي حامل - قال - عليه السلام - : « أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَيْضَ ، سَبَطَا قَضِيءَ الْعَيْنَيْنِ . فَهُوَ لِهَلَالِ بْنِ أُمِيَّةَ ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ ، جَعَدَ أَحْمَشَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ ، قَالَ : فَأَنْبِئْتُ أَنَّهَا جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ جَعْدًا ، حَمَشَ السَّاقَيْنِ »^(٢) وهذا دليل واضح ، يشير إلى توارث الصفات ، والوراثة تنقل الصفات الجسمية والعقلية .

ويرى علماء النفس : أن الذكاء ، والطبع يخضعان لقوانين الوراثة^(٣) وأن الدراسات الحديثة في الوراثة والاستراتيجية تضع معيارا لقياس السلوك المنتظر للزعماء والقادة ، الذين يتقلدون زمام الأمور في دول العالم الحديث^(٤) .

فمقدار ما يتحمله الزعيم من خصائص في الوراثة والأخلاق ، بمقدار ما يتكهن له الدارسون من سلوك وممارسات^(٥) .

(١) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - ج : ٦ ، ص : ٥٦٥ ، ط : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
ورواه مسلم ، في صحيحه ، كتاب الرضاع ، باب العمل بالحقائق القائف الولد ج : ١٠ ، ص : ٤١ ، ط : الثالثة ، دار الفكر ، بيروت ، سنة : ١٣٨٩ هـ .

(٢) رواه البخاري ، في مواضع من حديثه مع فتح الباري ، منها : كتاب الطلاق ، باب قول الإمام : اللهم بين ، ج : ٩ ، ص : ٤٦١ .

ورواه الترمذي في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب سورة النور ، ج : ٥ ، ص : ٣٣١ - ٣٣٢ ، ورواه أحمد ، في مسنده ، ج : ١ ، ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥ .

(٣) د . عبد العزيز القوصي ، أسس الصحة النفسية ، ص : ٣٧ ، ط : الخامسة القاهرة .

(٤) د . رؤوف شليبي : بيت الرسول وقيمته الحضارية ، ص : ٣٦٠ ، من كتاب السيرة والسنة النبوية ، صفر ، سنة : ١٤٠٦ هـ : ط : الأزهر .

(٥) راجع المصدر السابق .

وأصبح من المعروف في معاهد الدراسات الاستراتيجية : أن علم الوراثة ، وعلم الأخلاق ، من الأصول التي تركز عليها الدراسات الاستراتيجية المتعلقة بالتنبؤ لممارسات الزعماء الذين يتولون جديدا مقاليد الأمور في بلد ما^(١) .

ونبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وإن كان باصطفاء الله له رسولا خاتما ، فهو أعلى وأكرم من أن يقاس بمقاييس علماء الاستراتيجية الحديثة ، غير أنه قد يكون من المقبول علميا : أن ننشر على الناس خصائص نسبه ، الذي اختصه الله به ، ليكون ذلك نبراسا في تفهم القيم الحضارية ، التي أرساها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مجالات كثيرة من مجالات الحياة ، لأنه أسوة وقدرة^(٢) .

فيكون نسبه - عليه الصلاة والسلام - وما قرره من قواعد القيم الحضارية المنزلة : الأصل الذي تركز عليه الحياة الإسلامية في دنيا المسلمين قاطبة .

ويختص نسب الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعدة خصائص في مقدمتها :

١ - البقاء إلى جوار البيت الحرام ، واتمسك بلمة إبراهيم - عليه السلام - .

٢ - الفروسية .

٣ - شرف النفس .

٤ - حفظ الأسرار .

٥ - العناية والاهتمام بمكارم الأخلاق .

٦ - الرحمة بالضعفاء^(٣) .

وبيان ذلك :

(١) راجع المصدر السابق .

(٢) راجع المصدر السابق .

(٣) راجع المصدر السابق .

١ - البقاء إلى جوار البيت الحرام :

إن عدنان هو : الجد الذي يثبت إليه نسب الرسول - صلى الله عليه وسلم - علمياً وتاريخياً^(١) .

لقد ولد لعدنان ولدان :

عك بن عدنان .

ومعد بن عدنان .

أما عك : فقد نزح إلى اليمن ، وتزوج من الأشعرين^(٢) .

وأما معد : فقد استقر بمكة ، مجاوراً بيت الله الحرام . الذي رفع قواعده إبراهيم - عليه السلام - أصل هذه الدوحة الشريفة .

ثم ولد له : نزار ، وقضاعة ، وقنص .

أما نزار : فقد استقر بمكة .

وأما قضاعة : فقد انتقل إلى حمير في بلاد سبأ .

وأما قنص : فقد هلك .

ثم كان من نزار أولاده : ربيعة ، وأنمار ، وإياد ، ومضر ، لم يستقر واحد منهم إلى جوار البيت الحرام ، سوى : مضر ، ومن خصائص مضر أنه ما رآه أحد إلا قدره وأحبه ، فهو صاحب كنف موطأ^(٣) .

فلسلسلة النسب الزكي مستقرة حول البيت العتيق ، فهو جوار طاهر في كنف بيت عتيق ، معظم في آباء مسجدين مؤثرين .

ثم كان من مضر ولداه : غيلان ، وإلياس .

أما غيلان : فقد أفسد الدين .

(١) ابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ، ص : ٣٦ .

(٢) هم : من قبائل كهلان ، من القحطانية ، وهم : بنو الأشعر بن أدد بن زيد من يشجب من غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .

عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، ج : ١ ، ص : ٣٠ .

(٣) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمته الحضارية ، ص : ٣٦١ - ٣٦٢ من كتاب : السيرة والسنة النبوية .

وأما إلياس : فقد صان ملة إبراهيم ، وحافظ على الشرائع التي ورثها البيت الإسماعيلي من جددهم إبراهيم ، وإسماعيل - عليهما السلام -^(١) .
تقول مصادر السيرة النبوية : إن إلياس أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام ، وكان في العرب مثل : لقمان الحكيم في قومه^(٢) .

٢ - الفروسية :

ومن إلياس - كبير قومه - كان ثلاثة نفر : عامر ، ولقبه : مدركة ، وطابخة ، وقسعة .
كان عامر (مدركة) هو : الفارس المقدام الشجاع ، وهو الجد في السلسلة الشريفة للنبي - صلى الله عليه وسلم - واستحق هذا اللقب لأنه أدرك كل عز وفخر .

أما الآخرون : فقد كانا كسولين^(٣) .

٣ - حفظ الأسرار :

ثم ولد له : خزيمة ، وهذيل .

وكان خزيمة : أشرف الناس نفسا ، فأنجب أربعة : كنانة ، وهي التي اصطفاها الله من ولد إسماعيل ، وكان أسد ، وأسدة ، والهون .

وكان كنانة هو جد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقد اختص بأنه يكن ، ويحفظ أسرار الخلق ، وهي صفة أمانة الأسرار للمجتمع^(٤) .

تقول المصادر : قيل له : كنانة ، لأنه لم يزل في كن قومه بستره عليهم ، وحفظه لأسرارهم ، وكان شيخا حسنا عظيم القدر ، تحج إليه العرب ، لعلمه وفضله وكان يأنف أن يأكل وحده .

(١) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمته الحضارية ، ص : ٣٦٢ ، من كتاب السيرة والسنة النبوية .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

ثم كان منه : النضر ، وملك ، وعبد مناة ، وملكان .
وسمي : النضر ، لنضارته ، وحسن طلعتة ، وبهائه^(١) .

٤ - البحث والعناية والاهتمام بمكارم الأخلاق :

ثم كان من النضر : مالك ، ويخلد .
يقولون : سمي مالكا ، لأنه ملك أمر العرب .

ومنه : كان فهر ، وفهر هذا هو : (قريش) ، وسمي بذلك لأنه كان يقرش ،
يعني : يفتش عن خلة المحتاج ، ليسدها ، ويقيل عثرته وكان أبنأؤه من بعده
يقرشون أهل الموسم ، بمعنى : أنهم يقضون لهم حوائجهم^(٢) .

ومن فهر كان أبنأؤه : غالب ، ومحارب ، والحارث ، وأسد ، وكان غالب
هو : جد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه كان يغلب على الحق .
ومن غالب كان : لؤي ، وتميم .

وكان لؤي هو : جد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومنه كان كعب ،
ومنه كان مرة ، ثم كان كلاب ، وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة وهو يوم
الجمعة ، أو يوم الرحمة ، ويقال : إنه أول من سمي يوم الجمعة بذلك لاجتماع
قريش فيه إليه^(٣) .

وكلاب اكتسبها من كثرة استخدامه لكلاب الصيد ، واسمه : (حكيم)
وكلاب : يجمع جدي النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبيه وأمه ، لأنه أنجب
قُصِيًّا جد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبيه ، وزهرة جد النبي - صلى الله

(١) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمته الحضارية ، ص : ٣٦٢ ، من كتاب السنة والسيرة النبوية .

(٢) أبو الفضل العراقي ، القرب في محبة العرب ، ص : ١٤٨ ، تحقيق إبراهيم حلمي القادري .

(٣) د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمته الحضارية ، ص : ٣٦٣ ، من كتاب السنة والسيرة النبوية .

عليه وسلم - لأمه^(١) .

ومن خصائص قصي :

الحجاجة : وهي حراسة الكعبة .

الرفادة : إطعام أهل المواسم في الحج .

اللواء : حق إعلان الحرب وعقد الجيوش .

السقاية : سقاية الحجيج الماء بلا مقابل .

الندوة : الشورى .

ومن قصي كان أولاده : عبد مناف ، وهو جد النبي - صلى الله عليه

وسلم - وعبد الدار ، وعبد العزى ، وعبد بن قصي .

أما عبد مناف : فقد امتاز في ظل والده بالوقار والاحترام لذاته وكان عبد

الدار : هزيل المقام ، فرأى قصي أن يعطيه شيئا من الشرف ووزع على أولاده ،

فأعطى عبد مناف : السقاية ، والرفادة ، وهي صفات الكرم والجود والسخاء

المتكرر الدائم ، وأعطى عبد الدار : اللواء ، ليرفع من ضعفه^(٢) .

٥ - الرحمة بالضعفاء :

ثم كان من عبد مناف رجال هم : هاشم والمطلب ، وعبد شمس ، ونوفل .

وكان هاشم كريما يحفظ له التاريخ : أن قريشا أصابتها مخمصة وهو في بلاد

الشام ، فاشترى دقيقا وكعكا ، وقدم مكة ، فهشم الخبز والكعك ، ونحر الجزر ،

وجعله ثريدا ، وأطعم الناس ، حتى أشبعهم فسمى لذلك : هاشما .

يقول الكاتبون : كان هاشم يحمل ابن السبيل ، ويؤمن الخائف ثم وَرَثَ هاشم

(١) د . رؤوف شليبي ، بيت الرسول وقيمته الحضارية ، ص : ٣٦٣ ، من كتاب السيرة والسنة النبوية .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٤ .

خصائصه في العدل الاجتماعي إلى المطلب أخيه ، ثم ورثها عبد المطلب بن هاشم من عمه المطلب .

وعبد المطلب له خصائص أضفت عليه ألقابا ، فهو : مطعم طير السماء وهو : شبيه الحمد ، وهو رجل مجاب الدعوة ، كانت قریش تستقى به المطر ، وسمى لذلك : بالفياض^(١) .

ومن عبد المطلب كان عبد الله ، الذي جعل الله منه المصطفى الخاتم نبينا محمدا - صلى الله عليه وسلم - الذي حمل من أرومته هذه الخصائص العليا :

- الجوار إلى بيت الله العتيق ، والبقاء على ملة إبراهيم الحنيف .
- الفروسية والإقدام والشجاعة .
- شرف النفس ، وعلو الهمة .
- حفظ الأسرار ، والأمانة .
- مكارم الأخلاق ، وفضائلها .
- رعاية الضعفاء ، وحماية المحايج .

وبهذه الخصائص الوراثية التي تعد قاعدة في الدراسات الاستراتيجية يكون نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - على السنام ، من ذروة المجد والشرف المؤثل ، لجميع زعماء العالم قديما وحديثا ، وإذا فما هرطق به قليلو الثقافة ، وضعفاء التفكير ، من المستشرقين ، وكتاب الغرب الحاقدين على الإسلام والمسلمين ، من أمثال : « لاسانس » ، و« مستر موير » ، إنما هو محض افتراء مزيف ، لا يعتمد على توثيق من مصدر أمين ، ولا مصدر من عقل محترم لنفسه ، يعرف أصول النتائج من مقدماتها ، ولا سيما ما قاله الكاتب الفرنسي : مسيو جاستون فييت . فما هو إلا استخفاف بالعقلية العلمية ، وزاد لمحيي ومروجي الإشاعات

(١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص ١٦ - ١٧ .

د . رؤوف شلبي ، بيت الرسول وقيمته الحضارية ، ص : ٣٦٤ ، من كتاب السيرة والسنة النبوية .

والأكاذيب ، من كتاب يحبون الجهل الماجن ، على العلم الوائق .

ونحن العرب المسلمين بما لنا من أمجاد في الفتح الإسلامي والحضارة العالمية ، وإسعاد الإنسانية ، نثق كل الثقة في أصول البيت النبوي الكريم الشريف ، وفي القيم الحضارية المنزلة ، التي تذررت به والتي انبثقت عنها^(١) .

ولذلك كان من عناية الله بمحمد - صلى الله عليه وسلم - أن وضعه في نهاية سلسلة فاضلة من الناس أتته من قبل والديه ، فأبوه عبدالله وجده عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي . وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . فهما يلتقيان معا في الجد الخامس كلاب بن مرة^(٢) .

وعبد المطلب هو جد النبي - صلى الله عليه وسلم - وابن هاشم من زوجته سلمى بنت عمرو . وقد شرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، إذ أحبه قومه ، وعظم خطره فيهم ، وهو شيخ مكة يوم قدوم أبرهة ، وهو الذي حفر بئر زمزم ، بعد أن هدى إليها ، وهو الذي قدم أحد أبناء العشرة ، للذبح عند الكعبة ، وفاء لنذره بأن يقوم بذبح أحد أولاده إن رزق عشرة ذكور ، فلما رزقهم أقرع على الذبيح فجاء على عبدالله ، وكاد يذبحه ، لولا نصيح القرشيين له ، وتضحياتهم لكنه استبدل بالذبح الفداء ، بناء على نصيحة عرافة خير^(٣) .

والذبيح الذي أفدى هو : عبد الله - أصغر أبناء عبد المطلب ووالد النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد اشتهر بالعفة والطهر وما روي في هذا الباب : أنه مر ذات يوم بعد فداءه على فاطمة بنت مر الخثعمية فقالت له : هل لك أن تغشاني وتأخذ مائة من الإبل ؟ فرد عليها بقوله :

(١) د . رؤوف شليبي ، بيت الرسول وقيمته الحضارية ، ص : ٣٦٤ ، من كتاب : السيرة والسنة النبوية .

(٢) محمد عفيف الزغبى ، مختصر السيرة النبوية ، ص : ١٣ - ٢٤ ، ط : دار المطبوعات ، بجدة .

(٣) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١١٧ .

أما الحرام فالملمات دونه والحل لاحل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه^(١)

قال ذلك ولم يلتفت إليها ، ثم تزوج من آمنة ، نزولا على مشورة والده -
ثم ترك آمنة بعد العرس بقليل للتجارة ، لكنه مات وهو عائد من هذه الرحلة .
ومما يجدر أن يذكر أن نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- من جهة أمه
عالم هو الآخر ، إذ يصف ابن هشام آمنة بقوله : « إن آباءها من فضلاء قريش ،
وسادة بنى زهرة »^(٢) .

فالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- نخبة بني هاشم وسلالة قريش وأشرف
العرب ، وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ، ومن أهل مكة أكرم بلاد الله - تعالى -
على الله وعباده .

وأعداؤه - صلى الله عليه وسلم - كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهد له
به عدوه إذ ذاك : أبو سفيان بن حرب ، بين يدي ملك الروم ، « قال ملك
الروم لترجمانه : سله . كيف حسبه فيكم ؟ يقول أبو سفيان ، قلت : هو فينا
ذو حسب^(٣) » . فأشرف القوم قومه ، وأشرف القبائل قبيلته ، وأشرف
الأفخاذ فخذه - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ
يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۚ ﴾^(٤) . وما قاله الله - تعالى - حجة لأهل الحق ، على أن
الرسالة فضل من الله - تعالى - يختص به من يشاء من خلقه ، لا ينالها أحد

(١) الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد ، ج : ١ ، ص : ٣٩٢ ، عباس محمود العقاد ، مطلع
النور ، أو طوابع البعثة المحمدية ص : ١٣٨ ، طبع ونشر : المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج : ١ ، ص : ١٢١ .

(٣) رواه البخاري ، في مواضع من صحيحه مع فتح الباري ، في كتب بدء الوحي ، والجهاد ،
والأحكام ، والإيمان ، والشهادات ، وغيرها ، ج : ١ ، ص : ٣١ - ٤٥ .

ورواه مسلم ، في صحيحه ، في كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم -
إلى هرقل ، ج : ٣ ، ١٣٩٣ - ١٣٩٧ ، ١٧٧٣ .

(٤) سورة الأنعام ، جزء من آية رقم ١٢٤ .

بكسب ، ولا يتوسل إليها بسبب ولا نسب وعلى أنه - تعالى - لا يختص بهذه الرحمة العظيمة ، والمنقبة الكريمة ، إلا من كان أهلاً لها ، مما أهله هو من سلاسة الفطرة ، وعلو الهمة ، وزكاء النفس ، وطهارة القلب ، وحب الخير والحق ، وكان أذكياً العرب في الجاهلية على شركهم بالله - تعالى - يعلمون : أن الصادقين محبي الحق ، وفاعلي الخير من الفضلاء ، أهل لكرامته - تعالى - ، وعنايته^(١) .

لقد كان بيت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، جد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبيه ، وبيت وهب بن عبد مناف : جد النبي - عليه السلام - - لأمه من أعلى البيوت في قريش ، إذ كان عبد المطلب بن هاشم سيد بني هاشم ، وكان وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة وكان كلا البيتين موسوما بالشرف والكرامة والطهر والعفاف ، ورعاية الدين والفضيلة ، فكان زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب زوجاً موفقاً ميموناً ، اتحد فيه عنصر طيب بعنصر طيب ، وانضم به أصل كريم إلى أصل كريم ، وأصهر بيت عريق في شرف الآباء ، وطهر الأمهات إلى بيت يكافئه بالشرف والطهارة ، فكان من الطبيعي أن تكون ثمرة هذه المصاهرة ثمرة طيبة مباركة ، وأن يكون نسل هذا الزواج نسلاً طاهراً كريماً^(٢) .

وما أجمل قول العقاد : كان بنو هاشم أصحاب عقيدة وأريحية ، ووسامة ، وجمال . عرفوا بالنبل والكرم والعفة والهمة والوفاء ، ولم تكن أخلاقهم هذه من مناقب الأماديج التي يتبرع بها الشعراء ، أو من الكلمات التي ترسل إرسالاً على الألسنة ، ولا يراد بها معناها .

وابن هاشم عبد المطلب : سيد قريش غير مدافع ، وكان عبد المطلب متديناً ،

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج : ٢ ، ص : ٣٥ ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : ١٩٧٣ م .

(٢) أمين دويدار ، صور من حياة الرسول ، ص : ٣٧ ، ط : الأولى القاهرة ، عبد الله بن حمد الشبانه ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء .. ص : ١٣٧ - ١٤٠ ، بتصرف واختصار ، ط : الأولى دار الهدى للنشر والتوزيع ، بالرياض ، سنة : ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

صادق اليقين ، مؤنابجاءىء دينه فى الجاهلىة ، لأن ثقة الإلمان طبعىة فى وجدانه ، وهو أول من حلّى الكعبة بالذهب من ماله وكان فى الحق نمطا فرىءا بىن أصحاب الطباىع التى فطرت على الاعتقء ومناقب النبىل والإىثار .

إن أسرة النبى - صلى الله علىه وسلم - أسرة عزىزة الآباء والأجءاء ، فخرها بالنسب أعظم من كل فخر ، وسىاءتها بالخلائق الموروثة أثبت من كل سىاءة ، ثم ىنشأ لها من بنىها نبى ىنعى على الآباء والأجءاء ، ماكانوا علىه من ضلالة .

لقد نشأ محمد - صلى الله علىه وسلم - فى الأسرة ، التى تعطىه خىر ما تعطى الأسرة بنىها ، ولكنه جاء بالنبوة التى لاىعطىها غىر الله ، فكانت الأسرة ، تمهىءا له فىما ورث منها^(١) .

وىروى : أن رسول الله - صلى الله علىه وسلم - قال : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةِ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ »^(٢) .

وىقول العباس : بلغه - صلى الله علىه وسلم - بعض ماىقول الناس ، فصعد المنبر ، فقال : « مَنْ أَنَا ؟ » قالوا : أنت رسول الله قال : « أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا ، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا ، وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا »^(٣) .

والذى علىه أهل السنة والجماعة : أن قرىشا أفضل العرب وأن بنى هاشم : أفضل قرىش ، وأن رسول الله - صلى الله علىه وسلم - أفضل بنى هاشم فهو

(١) العقاء ، الإسلامىات ، المجلء السابع ، ص : ٣٢٣ - ٣٥٤ ، ط : ءار الكتاب اللبنانى ، بىروت ، سنة : ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٢) رواه مسلم ، فى صحىحه ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبى صلى الله علىه وسلم - ، جء : ٤ ، ص : ١٧٨٢ ، ٢٢٧٦ .

(٣) رواه الترمذى ، فى صحىحه ، كتاب المناقب ، باب فضل النبى - صلى الله علىه وسلم - ، جء : ٥ ، ص : ٥٨٤ ، رقم الءءء : ٣٦٠٧ - ٣٦٠٨ وقال : ءءءء ءسن .

أفضل الخلق نفسا ، وأفضلهم نسبا^(١) .

وعن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى ﴿وَتَقْلِبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾^(٢) قال : « من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبيا »^(٣) .

وجاء في حاشية الجمل على الجلالين : وهو أن أصول محمد - صلى الله عليه وسلم - لم يدخلهم الشرك ، مادام النور المحمدي في الذكر والأنثى ، فإذا انتقل منه إلى من بعده ، أمكن أن يعبد غير الله^(٤) .

وجاء فيه - أيضا - : أي : يراك متقلبا في أصلاب وأرحام المؤمنين ، من لدن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة ، فجميع أصوله رجالا ونساء مؤمنون^(٥) .

وهناك إجماع على : أن نسب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم أبي العرب المستعربة ، نسب شريف وآباء طاهرون ، وأمهات طاهرات ، لم يزل - عليه الصلاة والسلام - ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء ، حتى اختاره الله هاديا مهديا ، من أوسط العرب نسبا ، فهو من صميم قريش ، التي لها القدم الأولى في الشرف ، وعلو المكانة بين العرب ، ولاتجد في سلسلة آبائه ، إلا كبراء كلهم سادة وقادة ، وكذلك أمهات آبائه ، من أرفع قبائلهن شأنًا ، ولاشك أن شرف النسب ، وطهارة المولد من شروط النبوة ، وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته ، كان شرعيا حسب الأصول العربية^(٦) .

(١) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، المجلد الأول ، ص : ٣٧٠ ، تحقيق وتعليق : د . ناصر بن عبد الكريم العقل ط : الأولى ، سنة : ١٤٠٤ هـ .

(٢) سورة الشعراء آية : ٢١٩ .

(٣) رواه البزار ، في مسنده (كشف الأستار عن زوائد البزار - للهيتمي) ج : ٣ ، ص : ٦٢ ، ط : الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

(٤) الجمل ، الفتوحات الإلهية ، ج : ٣ ، ص : ٢٩٦ ، ط : عيسى البابي الحلبي .
(٥) المرجع السابق .

(٦) محمد الخضري ، نور اليقين ، ص : ١٢ ، ط : دار القلم ، بيروت تحقيق : عبد العزيز سيراوان .

وما يحسن أن نشير إليه : أن هناك مزيتين ، في آباء النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأجداده ، علينا أن نعرض لهما :

المزية الأولى :

أن الآباء المباشرين من والد وجد ، وهكذا إلى النهاية لم ينغمسوا في الشرك ، والوثنية على غير عادة معاصريهم ، وتلك إرادة الله في آبائه - عليه السلام - ، إذ بقي فيهم هذا الفهم الديني ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(١) ويذكر العلماء : أن الكلمة الواردة هي قوله تعالى : (لا إله إلا الله) وبذلك فسرهما مجاهد وقتادة ، وغيرهما وقد بقيت هذه الكلمة ، فلا يزال في ذريته من يقولها^(٢) ، ويوحّد الله ، ويدعو إلى توحده^(٣) .

وقد ذكر السيوطي : « أن أجداد النبي - صلى الله عليه وسلم - من آدم إلى إبراهيم ، كانوا مؤمنين بيقين »^(٤) . فلما أتى إبراهيم بولده إسماعيل ، قال قبل أن يتركه ، داعياله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامًا ﴾^(٥) ويقول الطبري في روايته عن مجاهد : « استجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده ، فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد موته »^(٦) .

المزية الثانية

وأما عن المزية الثانية ، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - ينتسب إلى بطن بني هاشم ، وبني هاشم بطن ييطن مكة ويرتبط مع سائر بطون قريش في

(١) سورة الزخرف ، آية رقم ٢٨ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : ٧ ، ص : ٢١٢ .

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ج : ٣ ، ص : ٤٧٤ ، ط : دار المعرفة بيروت .

(٤) السيوطي : الحاوي للفتاوي ، ج : ٢ ، ص : ١٢٦ ، ط : دار الفكر بيروت .

(٥) سورة إبراهيم ، آية رقم ٣٥ .

(٦) الطبري ، جامع البيان في تفسير آي القرآن : ج : ١٣ ، ص : ٢٢٨ .

قرابة^(١) وتلك سيرة لداعية يظهر بين الناس ، إذ يجد نفسه مرتبطا بقرى مع سائر البطون .

وأخرج البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما - : « أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم - لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَلَهُ قَرَابَةٌ فِيهِ »^(٢).

وهكذا كانت تهية الله - سبحانه وتعالى - لنبه - صلى الله عليه وسلم - قبل ميلاده ، فجعل آباءه من خير الخلق خلقا ، ودينا ومسلكا ، وجعل آباءه من بطن يتصل بكل بطون قريش اتصالا قائما على النسب والقرى .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - مثال الصدق والأمانة في سلوكه ، حتى اشتهر بهاتين الصفتين ، وسماه الناس بالصادق الأمين وتجلت عناية الله - سبحانه وتعالى - به في هذه المرحلة ، فلم يسجد لصنم قط ، وكان يلتمس الهدى ، متبعا ما بقى من دين إبراهيم - عليه السلام - .

فالعناية الإلهية ، تضمنت تهية النشأة القوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - إذ أحاطته بإيواء قوي رحيم ، وشكلت شخصيته بالواقعية والأصالة .

اختيار الأمة الأولى للإسلام

يذكر العلماء أن كمال كل نوع إنما هو محصول صفاته الخاصة به وصدور آثاره المقصودة به ، وبحسب زيادة ذلك ونقصانه ، يفضل بعض أفرادها بعضا ، إلى أن يعد أحدهما سماء والآخر أرضا .

والإنسان مشارك لسائر الأجسام في الحصول في الحيز والفضاء وللنباتات في الغذاء والنشوء والنماء ، وللحيوانات في حيويته بأنفاسه وحركته بإرادته

(١) د . أحمد غلوش ، الدعوة لإسلامية ، ص : ١٢١ .

(٢) رواه البخاري ، في صحيحه ، كتاب المناقب ، ج : ٤ ، ص : ٢١٧ ، ورواه البزار ، في كشف الأستار عن زوائد البزار ، كتاب علامات النبوة باب قدم نبوته - صلى الله عليه وسلم - ، ج : ٣ ، ص : ١١٢ . ورواه الطبراني في الأوسط .